قصة من الجزائر

منزل على شاطئ البحر

للقاص دريس الشريبي
ترجمة جورج سالم

طلب برتلمي أن يحال على التقاعد يوم بلغ الستين من عمره . لقد حسب كل شيء وقدر كل شيء في أدق تفاصيله . ذلك بأن العملية كانت على جانب عظيم من الاهمية : لأن هذا لم يكن حلم حياته بل خاتمتها. لقد خلع قبعته في اليوم الذي بلغ فيه الستين ونزع سترته الرمادية وعلقها على مشجب في مؤخرة الحانوت وارتدى معطفه الذي سلم اليه مساء امس ووضع في جيبه علبة سمك فيها نبيذ ابيض وزجاجة بيرة وافرغ درج الخزينة ونظف المكان وأغلق باب مخزن العطارة ورفع القفل وسلمه الى خلفه الذي كان ينتظره على الرصيف وقد ارتدى ثياب العطار ، والذي اعطاه لقاء ذلك حوالة مكتوبة وموقعة. تصافح الرجلان وتمنى كل منهما للاخر خطا سعيدا واولى كل منهما ظهره للآخر ليمضي احدهما فيمتلك مخزن العطارة وليذهب الاخر فيقبض الحوالة من المصرف . كانت الصفقة قد عقدت منذ زمن بعيد والعقود موقعة ومسجلة، وكان الامر واضحا وضوح ولادة او موت : فقد دخل رجل الحياة (في عالم التجارة) وخرج آخر منها .

لم يكن برتلمي يفكر حين كان يسير ويتحدث ويوقع اسمه او الحروف الاولى منه ـ في السيارة ، في المصرف ، في صندوق الادخار، في الشارع ، عند بائع الاسطوانات واخيرا على رصيف المحطة. كان قد قدر اقل حركاته تقديرا دقيقا ـ وكان ذلك كأنه ما يزال واقفا خلف منضدته يستقبل زبائنه ويخدمهم : كيلو برتقال ؟ نعم يا سيدي..وهذا ايضا ؟ ملح خشن تريدين ملحا ؟.. وهذا ايضا حسن يا سيدي..سيفكر فيما بعد حين يغادر هذه المدينة ويصبح بعيدا عن كل شيء وكل انسان. حين يبلغ اخيرا شاطيء البحر .

لما تحرك القطار ، اخرج برتلمي من جيبه دفتر عطار قديم وقلم حبر ناشف . فتح الدفتر وهو متكوم على مقعد صغير (مكان محجوز، بجانب النافذة ، في اتجاه مسير القطار) وبلل رأس القلم بريقه وراح يجرد حسابه :

المادة الاولى : « عطارة ـ مختلف انواع المأكولات ـ خمر ممتاز ـ مشروبات روحية » انجز هذا الموضوع . وربت بلطف على الجيب الداخلي الايسر لسترته : خمسة عشر مليون فرنك في دفتر الحوالات ووصولات بالتسليم .

المادة الثانية : اموال مقتصدة ، ارباح غير مشروعة ، فوائد مختلفة ، حسم فوائد التأمين . وربت من جديد على جيبه : عشرة ملايين دفتر حوالات . وصل بالتسليم .

المادة الثالثة : صندوق الاسطوانات . دفع الثمن وارسلت البضاعة. وصل بالبيع ، اشعار بالارسال ، اشعار بالتسليم ، سجل المستودع.

شطب برتلمي هذه المواد الثلاث بثلاث ضربات من قلمه .

المادة الرابعة : جهاز « المذياع مع الحاكي » منجز ومصدر ثلاثة وصولات . المادة الخامسة : مخطط ، ملاط ، آجر ، قرميد ، منجز. المادة السادسة: خيمة ومواد احتياطية : ثلاثة وصولات. المادة السابعة..

كان برتلمي يبل قلمه ويشطب ويقلب صفحات دفتره واذ لم يجد ما يشطبه رسم علامة استفهام كبيرة فوق صفحة فارغة شبه بيضاء ، ووضع قلمه ودفتره في جيبه وفتح علبة السمك وزجاجة البيرة بسكينه « الذي يصلح لكل شيء » ، فأفرغ الواحدة بجرعات صغيرة (لم يكن يحب السمك) وافرغ الثانية دفعة واحدة تقريبا (فقد كان يحب البيرة كثيرا) واخفاهما تحت المقعد ، ومسح شاربه وتنهد كان كل شيء يسير بانتظام وسيصل عما قريب الى شاطيء البحر ، ونام بعد لحظة وفمه مفتوح .

* * *

قطع اذناب الكراث اربعة اقسام ، وقسم علبة السردين الى ثلاث قطع ، لثلاث وجبات . لقد انتفع بالزيت الموجود في علبة المحفوظات حتى يبس . سواء كان الزيت حامضا ام لا فقد اثبت انه مادة دهنية: وذلك لسلق بيضة في الاناء أو لقلي البطاطا . كان يحتفظ لنفسه بالمواد التي لا يشتريها احد . لم يكن بخيلا ، وكان مقتصدا ، والمرء يحصل على تقاعد بعد حياة كاملة من الحرمان ـ ولا سبيل اخر الى ذلك.

لم يولد عطارا : بل اصبح عطارا . تستطيع الثياب الرسمية ان تلتصق بسهولة على جلد الانسان ، ضباط ، باعة ، قضاة ، كان برتلمي يحاكم على نحو عملي ، دون تعجل ، كأنه يقلب حزمة من القش ، لم يفكر قط بفكرتين في آن واحد . والواقع انه تابع خلال حياته الفكرة الواحدة نفسها : تقاعده ـ تماما كما ارتدى السترة والقبعة ذاتها.

كان للاحقاد الصغيرة خاصة ، وللعيوب القليلة وللمخازي الصغيرة اليومية ، بعض القيمة . كانت توزن بالغرام وتزداد مع قيمة الحياة . وراحت هذه تتمركز يوما بعد يوم وسنة بعد سنة . لم تكن تتراكم (لانها كانت تتشابه فيما بينها) : خلاصة من الاضطراب الاسود . وكان ذلك على النحو التالي .

كان وجه برتلمي (ويداه وعيناه وصوته) وهو خلف منضدته في مخزنه ، وخلف الميزان ، وخلف الباب الزجاجي ، يشبه في لونه ورخاوة جلده النباتات التي تنمو تحت الحراج ، ولكن برتلمي كان يبتسم دائما : وكانت الابتسامة خزيا صغيرا ، وكان لكل تجعيدة في وجهه قصتها الخاصة بها ، ولكن أكان لهذا كله قيمة ؟ كانت تلك آلاما ضرورية وكان ينبغي ان تمنح قيمتها الدقيقة. اما الابتسامة الحقيقية فتاتي فيما بعد، مع الشمس والضياء ، لسوف احقق ذات يوم ما سأفكر فيه، وربما اتيح لي ان اعبر عما فكرت به وعما سأفكر به ، حين سأغدو وحيدا حين سأكون انا نفسي ... بعد عشر سنوات بعد اكثر من شهرين ، غدا ...

هذه المرأة التي لم تتمتع قط بحياتها باية طريقة كانت ، انه ليعرفها معرفة من ينظف كل يوم دماملة. وكانت هي ايضا تعرفه جيدا ، كانت

يسر ((الآداب)) ان تعلن ان عددها السنوي الممتاز سيكون في العام القادم خاصا بـ

فلسطين

فلسطين : الارض المقدسة التي يستعد العرب اليوم ، في جميع اقطارهم ، لاسترجاعها من الصهيونية المغتصبة ، والتي طبعت النتاج الادبي ، في السنوات الخمس عشرة الماضية ، بطابعها المأساوي العنيف .

و ((الآداب)) تدعو ادباء العربية ، من دارسين وقصاصين وشعراء ، الى المشاركة في تحرير هذا العدد الضخم الذي سيصدر في مطلع اذار (مارس) القادم ١٩٦٤ .

هنالك منذ اعوام ، من الصباح الى المساء ، من اجل زجاجة فارغة ، من اجل كسرة جبن ، من اجل اية فضلة من الفضلات . لماذا لا تذهب الى مكان اخر ؟ ماذا فعل لها ؟ وهل يستطيع المرء ان يبغض احدا كل هذه المدة وبمثل هذه القوة ؟ لم تكن تطلب شيئا بل لم تكن تنبس بكلمة ، ان داحوسا يزن ثمانين كيلوغراما ليس بحاجة لان يتكلم . لقد فتح برتلمي سكينه في جيبه خلال اعوام طويلة : انني بحاجة لان أقفل واذبح وارتشف الدم . كانت المرأة تخرج فيطوي سكينه بتصميم حاد ، بعد عشر سنوات بعد اكثر من شهرين ، غدا ...

ان مدخراته القليلة أمنت له اكفانه ، لقد نسجها وشيدها واخجله كل منها ، ولكن ما معنى الخجل ؟ ان للضرورة احكاما ، لقد اشترى وباع كل انواع المحاصيل . اشترى ذلك بالجملة وبالدين ، وعاد فباعه نقدا وبالمفرق . واذا كانت هناك علب قد تلفت فليس له حيلة فيها : فهو لم يصنعها ولم يكن بداخلها . واذا لم يكن بامكانه ان يبيعها او يردها الى تاجر الجملة فانه يحتفظ بها لنفسه ، فالعطار يأكل كفيره من الناس . اما الالتهاب والتسمم فان التقاعد يستحق ذلك كل الاستحقاق . واذا كانت المعجنات يابسة ومُرنّة كاسلاك الحديد ، فما هذا الذي يسمى ضميرا مسكليا كان ام غير مسلكي ؟ وأسوأ من ذلك كله ان هذه وتلك تباع كلها ، كل شيء يباع . حسبه ان يؤكد لربات المنازل ان المرء يختار ما يحلو له ، ((فقد اكلت من هذه مساء امس ، ان طعمها لذيذ)) . واذا صدقت النساء كلامه ولم يكن لديهن أي حكم شخصي ففي ذلك ما يوجب ان يفرك يديه احداهما بالاخرى ، فعلى هذا النحو تساق الحيوانات الى المسلخ ، أما اذا جاءت هاته النسوة في اليوم التالي ليقلن له بأن ما اشترينه ((كان فعلا شيئا منتقى)) ففي ذلك ما يستدعي التصفيق الحاد . ان بعض الحيوانات التي عرفت بذكائها تتجه من تلقاء نفسها نحو المسلخ ، وحين كان برتلمي يعلق على باب مخزنه لوحة كتب عليها (كيلو البرتقال بـ ٨٠ ، و ٣ ليرات بـ ١٢٠) فان كل الناس كانوا يشترون ثلاث ليرات . ان الحماقة الانسانية عملة قوية . وكان هذا بالنسبة لبرتلمي الخجل الاكبر : أي ان يشعر بهذه الحماقة ويحولها الى نقود كي يتاح له ذات يوم ان يصبح شريفا خاليا من كل اتساخ .

* * *

انطلق من مونت كارلو وحاذى كل شواطيء البحر الابيض المتوسط . سار مشيا على قدميه ، من غير ما اسراع ، بحثا عن صخرة نموذجية ، واقتضاه ذلك سنة كاملة . وخلال هذه السنة كان صندوق اسطواناته وامتعته تتبعه من محطة الى محطة ، ولم يجد الصخرة المطلوبة : فقال : ((لقد أمضيت سني مراهقتي وشبابي ونصف شيخوختي وانا آكل الاطمة القذرة واشرب الماء الآسن وأعيش في اهاب انسان قذر . واشرأبت نفسي طوال هذا الوقت الى يوم استطيع فيه ان املك ما ابني منه منزلا محكم الاغلاق على الذين يسمون اقرانا لي ، منزلا مفتوحا على البحر حيث استطيع ان استمع فيه على هواي ، الى آثار بتهوفن وباخ وموزار . والان لقد انتهى كل شيء . واني اقول ان كل شيء انتهى بعد ستين عاما من القذارة ، كل ذلك بعيد الان ، بعيد جدا حتى انني سأنسى عما قريب انني وجدت . ان حياتي تبتدىء . أو بالاحرى ان حياتي ستبتديء حين سأعثر على صخرة استطيع ان ابني عليها هذا المنزل . لا جرم ان على هذا الشاطىء بعض الصخور ولكن هناك ايضا اناسا . ان هناك على الاخص هذا النوع من السائحين الذين يشبهون زبائني القدامى كل الشبه ، فهناك ضجة آلاتهم ذات المحركات والتي تشبههم . وهناك ايضا قواربهم التي تأتي تحت نوافذي لتثير أعصابي لو كنت اصم او أخرس لحلت المشكلة ولكن لي عينين واذنين ولقد عشت ستين عاما في اهاب انسان قذر كي يتاح لي ذات يوم ان استمع الى الموسيقا وانظر الى البحر)) .

رسم في صفحة دفتره ، حيث كان قد خط علامة استفهام ، سهما خلفه دائرة وكتب في هذه الدائرة : ((شاطيء البحر الابيض المتوسط : صفر)) .

سحره ساحل المحيط الاطلسي بصخوره وبحره الاكثر حرية

ووحشية . فاجتاز الساحل مشيا على قدميه كذلك . واستغرق هذا العمل ثمانية عشر شهرا ، واعجبته عشرات الصخور ولكن أيا منها لم تكن تلائم مخططه وقال في نفسه : « ان ههنا سفنا ايضا وسياحا ، اضف الى ذلك ان حركة التجارة البحرية اشد ، فثمة سفن البضائع وسفن الاسماك ، وناقلات المحار ، واني ما ازال ارى اقراني وآثار اقراني. بيد انني لا اريد ان اراهم ، انني لا اكرههم ولكنني لا اريد ان اراهم، وهذا كل ما في الامر : فقد كنت واحدا بينهم ، غير اني لا اريد مع ذلك كله ان اذهب الى بلد اجنبي . يا للشيطان . لا بد ان تكون هناك صخرة متوحشة لا ارى منها البشر . انني بحاجة الى ان اكون وحيدا واستمع الى الموسيقا وانظر الى البحر وان اكون انا نفسي آخر الامر. اني لاتخيل انه اذا كان الله موجودا (لست اعرف شيئا عن هذا الموضوع، فانا افترض فقط) قلت اذا كان الله موجودا واذا كان قد خلقني فانه لم يفعل ذلك كي اعيش واموت في سترة عطار . واني لأتخيل ايضا ان هناك مصيرا وان لكل انسان على الارض هدفا محددا وأنا اريد ان انسحب الى ركن هادىء كي أتأمل في كل ذلك حتى نهاية عمري. لقد أعطيت اقراني ستين عاما من القذارة ، ولكني اعرف ان فيّ شيئا آخر واريد ان اعرف ما هذا الشيء الاخر . لسوف تساعدني الموسيقا على ذلك والبحر ايضا والوحدة . لو كنت بهيمة لانسحبت الى حجر كي اموت فيه ، ولكني لست بهيمة مع الاسف ! »

رسم على دفتره سهما اخر واتبعه بدائرة كتب فيها « شاطىء البحر الاطلسي. صفر » . وعاد ادراجه يرود جزر البحر المتوسط فصعد الى الشمال وجاب جزر الغرب . وخلال هذا الوقت كله كان صندوق اسطواناته وامتعته تتبعه من جزيرة الى اخرى ، وكانت التكاليف باهظة ولكن دفتر الحوالات كان هناك .

في احد اصباح شهر نيسان ، بعد ثلاثة اعوام لتقاعده ، اقلع على ظهر الباخرة « انسولا اديا » الى بور جوانفيل ، عاصمة جزر «يو» . دخل احد المقاهي كي ينقع غلته ورأى صورته في احدى المرايا فنظر اليها طويلا ونظر كذلك الى يديه . هل خلقت الشمس والحياة في الهواء الطلق وهواء البحر للسائحين فقط ؟ لم يستطع أي شيء ان يغير لون الوجه الضارب الى البياض . مسح شاربيه بسبابته القاسية وقال لنفسه : « سيأتي ذلك ، انني اعرف هذا ، وسيدبغ جلدي فيما بعد على نحو لم يتح لواحد من هؤلاء السائحين . انني اعرف هذا ولو كنت لا اعرفه لقطعت عنقي بسكيني فورا . سيدبغ كل شيء فيّ حتى نفسي. ستدبغني الشمس والريح والضياء والبحر حتى نقا عظامي وذلك حين سأجد هذه الصخرة وحين سأكون وحيدا امام البحر».

* * *

ان الذين رأوه ينصب خيمته في جهة « بور ـ لا ـ مول » على الصخور بين « لجة الجحيم » و « القصر القديم » لم ينبسوا بكلمة: فقد كانوا رجالا من اهل البلد ـ بحارة حقيقيين ، كانوا حتى حين يحملون الى الرافعة الصناديق المملوءة بالمحار يكفون بان يقولوا « محار».

كانوا يدعون شنوك الشيخ ، وبرنارد وميتور . وكانوا يقيمون في البحر اثني عشر شهرا في السنة سواء كان البحر عاصفا ام هادئا. وحين كانوا يعودون الى اليابسة فانهم لا يكادون يبرحون المرفأ قط. كانوا يصلحون الخزائن والشباك أو يقطعون الطون شرائح يضعونها في براميل من الماء المالح واذا ما حدثهم انسان عن البحر وعن « جمال البحر الوحشي الحي » فانهم لم يكونوا يفهمون معنى كلامه . كانوا يرفعون رؤوسهم وينظرون الى هؤلاء الناس القادمين من المدينة يحدثونهم عن محيطهم الطبيعي بلغة غريبة عنهم ، وكان بعض منهم يبتسم : وهؤلاء هم الشباب ، والاخرون لم يكونوا يجيبون : واولئك هم الشيوخ.

ان النساء هن اللواتي اهتممن بأمر برتلمي. فحين رأين حول الخيمة الشاحنات الاتية من القارة تفرغ علبا خشبية كبيرة وصناديق واكواما من القرميد والآجر وأكياسا من الاسمنت وشحنات من علب المحفوظات بدأن يذعن مختلف انواع الشائعات. ان مجنونا قد أشترى صخرة في وسط البحر وذلك على اقل تقدير ليبني قصرا او كوخا ـ ولكن لماذا يمضي وقته في مراقبة هذه الصخرة بمنظاره ، كأنه يتطلع الى غواصة من غواصات العدو ؟

لم يكن يأتي الى القرية الا اذا انحسر البحر . كان الناس يرونه يمر من امام المقهى فيتوقف قليلا ولكنه لم يكن يدخل المقهى . وكانوا يرونه يتنزه في المرفأ ويحوم حول الكنيسة الصغيرة ويلامس برجله بكرة من الحبال ، لم يوجه الكلام الى أي انسان قط . وكان يبدو كأنه ينظر الى الاشخاص والاشياء دون ان يراها ، ثم كان يصعد الى الشاطىء ويقيم تحت خيمته ومنظاره مصوب نحو الصخرة.

تآمرت النساء طويلا في « بور ـ لا مول » قبل ان يبيتن امرا: وفي ذات صباح رأى برتلمي عشرا او اثنتي عشرة منهن يأتين اليه حاملات سراطين في صحون ، وبعض ارغفة الخبز الكبيرة وبعض زجاجات من المياه المعدنية ، لقد سمع وقع اقدامهن ولكنه لم يلتفت اليهن . كان ينظر الى الصخرة. ولم يرهن الا حين وقعن في حقل رؤيته ـ لقد رآهن بمنظاره فنهض دون ان ينبس بكلمة ، ونزع غطاء صندوقين او ثلاثة: كان عنده كل ما يحتاج اليه حتى موته ـ بيرة ، وعلب اللحوم ، وسمك مدخن في المرقة او مقطع ، بسكويت طحين ملح ، تبغ .. ولم يكن ينقصه شيء، ونقر على صناديق اخرى : ثياب ، ادوات المطبخ ، وكل ما يحتاج اليه انسان قرر ان يعيش بعيدا عن المجتمع . وحين عاد فركز منظاره لم يكن هناك الا الصخرة في حقل رؤيته.

مرت الاسابيع والشهور وظل كل شيء على النحو التالي : كان برتلمي هناك ما دام البحر في ارتفاع يوما بعد يوم ، في العاصفة تحت الامطار او ايام الصحو ، مقيما تحت خيمته تحيط به علبه وصناديقه المعدنية وسور من مواد البناء من شتى الانواع . وحين يحدث الجزر

في الاسواق :

الحضارة العربية الجديدة وحتمية الثورة

تأليف

أنور قصيباتي

* ان حضارة جديدة تلوح في الآفاق البعيدة ، وان العرب هم الذين سيبدعون هذه الحضارة .

* ان الثورة هي الطريق الوحيد لاقامة هذه الحضارة، ولن تتحقق الا بالتدخل الارادي

منشورات دار الاداب

الثمن ٢٠٠ ق.ل ـ ٢٥٠ ق.س

كان ينام في الليل . اما في النهار فقد كان يهبط الى المدينة ويلامس برجله صرة من الحبال او يدور حول الكنيسة الصغيرة .

ولقد رآه احد السائحين ذات يوم ، وكان يملك هو ايضا منظارا، يكتب بحمية على دفتره ويفتح فمه ويغلقه كأنه ينشد قصيدة.

مرت السنة الاولى وعاد برتلمي فقرأ الملاحظات التي خطها في دفتره . كانت الصخرة تلائم مخططه كل الملائمة ، وكانت اقامته فيها مضمونة : فقد ركز عليها بصره منذ خمسة وستين وثلاث مئة يوم فلم تغطها المياه مرة قط حتى حين كانت امواج البحر تصطدم بالشاطيء كالطوفان غاضبة. كل ما هنالك ان يصيبها بعض الزبد في اكثر تقدير. كانت تلك هي الصخرة عينها التي حلم بها خلال ستين عاما « اربعةوستين عاما » . قال في نفسه : « لم اعد املك الا بضعة ملايين من الفرنكات، ـ سأحسب النفقات فيما بعد ، في يوم يكون فيه مد البحر وجزره عظيمين. الا ان المؤونة هنا تكفي ـ لعشرين سنة على اقل تقدير، وكذلك مواد البناء . سامضي منذ الغد لاستقل السيارة واذهب الى بورجونفيل فاكلم المتعهد بالهاتف ليباشر دون تأخير . سيقول في نفسه انني شيخ مأفون ولكنني لست كذلك : فانا اعرف هذا . ولست استطيع الى ذلك ان اطلب اليه ان يبني المنزل دون ان يعرف شكل الصخرة . ولا كيف تتلاءم مع الطقس الرديء ، ولا اية صخرة هي . ستبدأ حياتي كلها ـ حياتي الحقيقية فوق هذه الصخرة ، ولست اريد هربا ولا غرقا أو أي شيء اخر قد يخرجني ذات يوم من منزلي بحثا عن اقراني من اجل ما يسمى ترميمات . هذا ما اريد ثلاثة جدران عالية كثيفة لا فتحة فيها البتة . واحد من جهة الغرب وثان في الشمال وثالث في الشرق ـ جهات البشر والمجتمع . اما من جهة البحر فخليج زجاجي ، وسقف من الاسمنت المسلح لكيلا ارى آلاتهم الطائرة اذا مرت من هنا ـ رغم ان واحدة منها لم تمر خلال هذا العام . ويجب ان تكون كل الجدران مانعة من دخول الاصوات ، وستكون الانارة بالبترول او بالشموع : فعندي من ذلك ما يكفيني. بقي علي الضرائب بمختلف انواعها : سأدفعها سلفا لعشرين عاما . واذا ظللت على قيد الحياة عشرين عاما فسيكون ذلك امرا رائعا. ان عشرة اعوام تكفيني ـ ولماذا لا اكتفي بخمسة ؟ يمكن للمرء ان يعيش حياة كاملة في خمسة اعوام . وبعد هذا فلأعد الى الامور العملية : ان الصخرة قد تلاءمت مع شتى احوال الطقس . فلقد راقبتها طويلا حتى نسيت ان انام ! ولكن هذا هو الاساسي وسأتلفن صباح غد لهذا المتعهد».

لبث في اليوم التالي هناك . ولبث كذلك في اليوم الذي تلاه والاسابيع التي تلته . لان نوعا من الالهام مسه فجأة : ذلك بان الصخرة لم تتكلل خلال السنة التي مرت الا ببعض ذرات من الزبد لا اهمية لها. ولكن ماذا سيحدث هذه السنة ؟ فليس هناك أية قاعدة او قياس بالنسبة الى البحر. وعاد برتلمي فوضع منظاره .

لم يعد يراه احد في القرية . والواقع انه لم يبرح موضعه قط. لقد جاءه احد الموظفين مرة او مرتين ، يسأله عن بعض الضرائب المترتبة على الدخل فسلمه في كل مرة حوالة كان يملأها ويوقعها دون ان يحول بصره عن منظاره . كان ينام حين ينحسر البحر او ينظف اسطواناته بمزقة من القماش وصناديقه حوله كأنه طفل في روضته . وكان يعمد في احيان اخرى الى جرد مؤونته فيرمي الى البحر بالبسكويت الذي كثر فيه العفن او بالبسكويت التالف ، وعلب المحفوظات المتفسخة. لقد انتهى الامر برياح البحر الى ان تدبغه ولكنه كان على هذا الشكل : فطرا من فطور الاقبية قد جفف امام المدفأة ، واذا ما حككنا القشرة الخارجية لهذا الفطر او جلد هذا الشيخ فاننا نظهر المادة الرخوة التي تتكون منها النباتات المحرومة من الضياء أو الكائنات المحرومة من الحياة. كانت عيناه هناك ترقبان . ملعقتان من الجلاتين في قناع من الجلد.

ومرت السنون بين الشيخ والصخرة . كانا دائما متقابلين. وتعفنت علب المحفوظات وتصلب الاسمنت في الصناديق حتى الاسطوانات غطاها لون رمادي عجيب . وفي ذات يوم نحى برتلمي منظاره وفتح دفتره وقرأ ملاحظاته بسرعة كبيرة في شيء من اليأس الهادىء، وحين انتهى من قراءتها قال : « لقد فات الوقت يا برتلمي الشيخ . لقد فات الوقت» لقد كرت السنون دون ان تستطيع ان تضع رجلك على هذه الصخرة. انك تفهم كلامي جيدا ايها الشيخ المسكين . ستظل عطارا مهما فعلت. ستظل عطارا في صميم نفسك ولو لم ترتد سترة العطار ، ليست هذه غلطتك ، فهذا امر معروف ولهذا فانا لا الومك ، ان الانسان لا يستطيع ان يتخلص بين ليلة وضحاها من حياة عطار كاملة . لقد دارت العجلة زمنا طويلا وستستمر في الدوران شئت ذلك ام ابيت . التقاعد؟ انه حديث خرافة ايها الشيخ المسكين ! وانت في اعماقك لا تريد ذلك : لا تكذب فانا اعرفك . وحتى لو قام هذا المنزل غدا بقدرة ساحر فانت تعرف جيدا انك ستضجر فيه ، لا تقل غير هذا ، انت تسخر من معنى الحياة والسعادة والحرية والكمال وكل سائر الكلمات ، أليس كذلك؟ انك لجورب قديم قديم جدا ، مهتريء جدا حتى ليعجز الانسان عن رتقه » .

باع كل شيء حتى منظاره . لقد اشترى منه المتعهد مواد البناء والصخرة ـ مع حسم . وهناك الان مخزن صغير جدا في البلدة. انه مخزن من مخازن العطارة . هنالك تستطيعون ان تروا برتلمي ، افتحوا الباب واشتروا منه أي شيء فان هذا يسره . واذا لم تكونوا بحاجة الى شيء فادخلوا مع ذلك . فسيستقبلكم باسما . لا تطيلوا النظر الى هذا الوجه المسن الباسم اذا كنتم سريعي التأثر . واذا ما ضغط على يدكم طويلا فلا تستاؤوا : فهو رجل شيخ وهو بحاجة الى دفء انساني. هناك ناحية اخرى ولكنها هامة : تجنبوا الحديث معه عن الموسيقا او البحر : فسيجن جنونه .

ترجمة : جورج سالم

يصدر قريبا :

الحركة العربية الواحدة

بقلم عبد الله الريماوي

يوضح التطور الثوري للنضال العربي
من وحدة الصف ، الى وحدة الهدف ، الى وحدة الثورة

الى
الحركة العربية الواحدة

يناقش في ضوء العقيدة والتجربة والمنطق الحزبي
في منابعه ودوافعه اتجاه مسألة

الحركة العربية الواحدة